تقرير

شوقي عشقوتي

سوريا تباعد بين إيران وتركيا وتشعل صراع نفوذ بين أنقرة وتل أبيب

انتهت الحرب الطويلة في سوريا الى خاسر كبير هو ايران ورابحين اثنين هما تركيا واسرائيل. وبعد سقوط نظام بشار الاسد يحتدم صراع القوى الإقليمية والدولية في الساحة السورية، حيث تتسابق لبسط نفوذها واستغلال التغييرات الحاصلة. واذا كان الصراع على اشده بين ايران واسرائيل، فانه اصبح بعد سقوط الاسد على اشده بين اسرائيل وتركيا، في وقت تشهد العلاقات التركية ـ الايرانية، وبسبب سوريا، مزيدا من التصدع والتباعد

ساد العلاقة بين ايران وتركيا على مدى العقدين الاخيرين مزيج من التنافس والتعاون، في حين تحولت سوريا خلال السنوات الاخيرة الى واحدة من القضايا محل الخلاف بين الطرفين، والتي اشتدت حدة التنازع في شأنها في الاشهر الثلاثة الاخيرة التي اعقبت سقوط الاسد وتسلم احمد الشرع المدعوم من تركيا، وانسحاب القوات الايرانية من سوريا.

في اثناء الحرب السورية، دعمت كل من ايران وتركيا مسارين متعارضين للتعامل مع الازمة. دعمت طهران نظام البعث وساندت انقرة معارضيه. ومع ذلك حافظت كلتاهما على توازن دقيق بينهما على قاعدة "التنافس التعاوني"، وعملتا معا ضمن مسار استانا، وابقتا قنوات التواصل الامني والاستخباري مفتوحة بينهما لتفادي اي تعكير لصفو العلاقات الديبلوماسية بين الجارين اللدودين، الى ان حسمت انقرة الجولة لمصلحتها. وجاء اسقاط نظام الاسد بغطاء تركي لا لبس فيه ليخرج سوريا من الفلك الايراني ويهز معادلة التوازن الدقيق، واضعا العلاقات الثنائية بين الطرفين على خط التوتر العالي.

وزاد الطين الايراني بلة مع تحسن علاقات انقرة مع الدول العربية، وعودة الحرارة الى العلاقات الاميركية - التركية بعد الانتخاب الثاني لدونالد ترامب، واحياء المحادثات في شأن بيع انقرة مقاتلات "اف 16" و"اف 35"، و"قبة الباط" الاميركية لتمرير الاتفاق بين الشرع والاكراد،

علاقة اردوغان الوثيقة بترامب مصدر قلق اضافي لايران

والذي يمكن نظريا اذا ما نفذ ان يفقد ايران حليفا محتملا يوازن الوجود التركي، ويضيق مساحات المناورة امام طهران داخل سوريا. وكانت طهران سعت الى فتح خطوط مع وحدات حماية الشعب الكردية وعرضت تقديم الدعم العسكري لها، وارسال مقاتلين الى سوريا للانضمام الى صفوف الاكراد.

وفيما تخشى طهران من الانعكاسات المحلية للتحولات في الجغرافيا السياسية الاقليمية، لاسيما في ما يتعلق بتنامي المشاعر القومية التركية وتأجيج المشاعر الانفصالية بين الاقلية الاذرية من اصول تركية الوازنة في ايران التي تراوح اعدادها بين 25 و30 مليون نسمة وتعاني التهميش الاجتماعي والتمييز. تتهم اوساط تركية الاجهزة الامنية الايرانية بمحاولة نقل المواجهة الى الداخل التركي بسبب انزعاج طهران من التحولات في السياسة التركية، ومحاولات انقرة التضييق، ليس فقط على النفوذ الاقليمي الايراني، بل ايضا على المصالح التجارية والاقتصادية الكبرى لايران، لاسيما ما يتعلق بخطوط النقل وامدادات الطاقة وحركة البضائع.

كما تعتبر طهران ان سياسة تركيا الجديدة في ملفات الطاقة عبر مناطق البحر الاسود وشرق المتوسط والقوقاز تتجاهل النفوذ والمصالح الايرانية الاستراتيجية على اكثر من خط في تلك المناطق، بينها قطع الطريق على حلم الوصول الى البحر المتوسط.

لكن، على الرغم من التنافس الجيوسياسي الحاد وارتفاع حدة التلاسن والتطويق، والتطويق المضاد، لا يزال "تعاون الضرورة" والمصالح المشتركة تحكم العلاقة بين الجارين اللدودين. عدا عن الحجم الكبير للتبادل التجاري والاقتصادي والطاقوي بينهما، هما مرغمتان على اتباع سياسة متوازنة، ذلك ان ايران التي تواجه اليوم اشرس حملة امريكية

واسرائيلية ضدها، في ظل انشغال شركائها الصينيين والروس بقضايا حيوية تمس امنهم الاستراتيجي، لا خيار امامها سوى فك اشتباكها مع جيرانها، لاسيما مع تركيا التي تمثل متنفسا حيويا لها لا بد منه في حال المواجهة الكبرى.

في موازاة التوتر الناشئ بين تركيا وايران بعد سقوط نظام الاسد، اندلع صراع نفوذ سريع وحاد بين تركيا واسرائيل، الدولتان اللتان تحاولان وراثة روسيا وايران في سوريا، وتدفع بهما الولايات المتحدة الى تنظيم التعايش وادارة التنافس بينهما على الساحة السورية.

قامت اسرائيل الشهر الماضي بشن ضربات جوية ضد اهداف سورية عسكرية كان ابرزها تلك التي استهدفت مطار "تي فور" (T4) العسكري بعد استهداف مماثل الشهر الماضي لمطار تدمر العسكري... الهدف المعلن لهذه الغارات استكمال عملية تدمير البنى التحتية والقدرات العسكرية للجيش السوري، لكن ثمة هدفا آخر غير معلن وهو قطع الطريق على خطة تركية لاقامة قواعد عسكرية في سوريا، وتوجيه رسالة بالنار الى انقرة لوقف عملية سيطرتها العسكرية المباشرة على سوريا.

وكانت اسرائيل حذرت من ان التحركات التركية في سوريا تمثل تهديدا لأمنها، مشيرة الى ان تعزيز انقرة حضورها العسكري والسياسي في الشمال السوري، يهدف الى ترسيخ نفوذها بشكل دائم، ما يؤدي الى نشوء واقع جديد على الارض يهدد المصالح الاسرائيلية، والى ان السياسات التركية لا تقتصر على بسط النفوذ فحسب، بل تهدف الى تقويض الاستراتيجيات الاسرائيلية في الجنوب السوري.

اما بالنسبة الى الرئيس السوري الانتقالي احمد الشرع، فان اسرائيل تضيف الى موقفها الحذر منه، بعدا آخر يتمثل في رؤيتها له كجزء لا يتجزأ من ادوات تركيا لبسط نفوذها في سوريا. حتى لو لم يكن الشرع، بموقعه ويده الممدودة الى السلام مصدر تهديد مباشر، فان تموضعه الى جانب تركيا يجعله جزءا من التهديد الاوسع الذي تشكله سياسات الاخيرة السورية. الرسالة الاسرائيلية واضحة، بعد سقوط نظام الاسد وانهاء الوجود الايراني في سوريا، وبعد القضاء شبه التام على المقدرات العسكرية السورية، تقول ان من غير المسموح ان يأتي طرف اقليمي آخر ليشغل مكان الدور الايراني المنتهي. والمعني بها هي القيادة التركية التي سعت الى ملء الفراغ الذي حصل على الساحة السورية بخروج الايراني منها. فالضربات الاسرائيلية الاخيرة طالت

رسالة اسرائيل الى تركيا بالبريد العسكري: ممنوع وراثة ايران في سوريا

مواقع من المفترض ان تشكل قواعد ومواقع محتملة للقوات التركية داخل الاراضي السورية، وهدفت الى قطع الطريق على اي تمركز تركي داخل سوريا، بما يعني ان تل ابيب لن تسمح بأن تشكل هذه الساحة مصدر تهديد لأمنها في المستقبل، وان تتحول تركيا الى منافس جديد لاسرائيل باعتبارها القوة الوحيدة في الشرق الاوسط.

يرى محللون اسرائيليون ان الصراع بين اسرائيل وايران لم يحسم بعد ويصل الان الى مفترق طرق مصيري. فهل يتبلور، حتى قبل حسم هذا الصراع، صراع جديد مع قوة تسعى من جديد، وفي السابق ايضا، لاقامة امبراطورية اقليمية، وهي تركيا الاسلامية بقيادة اردوغان؟

الان، يقترب الصراع المصيري مع ايران من الحسم، فهل سيتم تفكيك المشروع النووي الايراني (من خلال اتفاق، او بالقوة)، ام سيصل الى مرحلة التنفيذ الكامل بانتاج سلاح نووي؟ لا نعرف كم من الوقت سنبقى في هذا المفترق، لكن حتى تفكيك المشروع النووي، سواء بالقوة، او باتفاق، من دون القضاء على النظام الشيعي، لن يزيل التهديد في المدى الطويل. وعليه، من المحتمل انه، قبل الوصول الى حسم واضح مع ايران، وايضا في المدى الزمني الممتد، قد تتطور خطورة ملموسة بتعاظم التهديد التركي في الوقت الذي لا يزال التهديد الايراني قائما، ولم يحبط. يرى الاسرائيليون ان تركيا تشكل خطرا، ليس فقط بسبب الايديولوجيا الاسلامية، ولا فقط بسبب الخطاب التحريضي ضد اسرائيل، بل اولا، وقبل كل شيء، بسبب افعالها الملموسة. فهي لا تكتفي بالكلام، بل تتصرف كقوة طامحة، وتتدخل في منطقة القرن الافريقي والسودان وليبيا، وفي الماضي القريب ايضا في مصر، وتقترب من اسرائيل عسكريا، من شمال سوريا نحو وسطها، وربما من هناك الى جنوبها.

يميل الاسرائيليون الى اعتبار ان المصلحة الواضحة لاسرائيل هي تجنب الصدام المباشر مع تركيا، ليس فقط الان، في الوقت الذي لا يزال التهديد الايراني قائما، لكن ايضا لاحقا، فلا مصلحة لنا في الدخول في مواجهة مع دولة قوية وعضو في حلف الناتو. وكذلك، للولايات المتحدة مصلحة في منع صدام بين اثنتين من حليفاتها المهمات. دولتان تامل من خلالهما، الى جانب السعودية ومصر، في المساهمة في استقرار المنطقة.